السبرتزم والاكتوبلازم

جاءنا احد الادباء منذ ثلاثة اشهر ومعهُ عدد يوليو من السينتفك اميركان وقال انظروا فان هنا مقالة مسهبة لاحد كبار العلماء هو المستر برنس رئيس جمعية الابحاث النفسية الاميركية يؤيد فيها ظهور الارواح ويخاطبها معتمداً على اعمال الوسيطة ايڤا وتجارب الدكتور كروفرد الحديثة خلافاً لما اثبتهُ مراراً في المقتطف . فقلنا اننا نضنّ بوقتنا ان نضيعهُ بمطالعتها لاننا امعنا النظر في كل ما اطلعنا عليهِ من اعمال الوسيطة ايڤا وتجارب الدكتور كروفرد فوجدنا ان ايڤا خدّاعة وان الدكتور كروفرد متحمّس في هذا الموضوع يستنتج نتائج لا تنتج عن المقدمات التي ذكرها . والمرجح عندنا انهُ مصاب بدخل في عقلهِ . ثم قرأنا حديثاً ان هذا الدكتور انتحر واختلف في سبب انتحاره فمن قائل انهُ اكتشف ان الوسطاء الذين كان يجرب تجاربهُ الروحية فيهم كانوا يخدعونهُ فندم على ما كتبهُ في هذا الموضوع واشتدّ بهِ الندم حتى قتل نفسهُ بسمّ تجربهُ ومن قائل انهُ اكتشف خللاً في عقلهِ وانهُ سيصاب بالجنون لا محالة فقضى على نفسهِ

ومن غريب الاتفاق ان جاءنا بعد ذلك عدد سبتمبر من مجلة السينتفك اميركان واذا فيها مقالة مسهبة في هذا الموضوع لاحد كبار الكتاب وهو المستر بلاك وقد خطّأ فيها ما جاء في مقالة المستر برنس المشار اليها آنفاً . واعترف محرر السينتفك اميركان انهُ نشر هذه المقالة الثانية وهو على ريب من صحتها ولكن جاءهُ قبلما تمّ طبع المجلة خبرٌ من مكاتبهِ في باريس ان علماء السوربون اكتشفوا خداع الوسيطة ايڤا بطريقة لا تبقي مجالاً للريب فاطمأنّ بالهُ من هذا القبيل

والى القرّاء ملخص مقالة المستر بلاك لما فيها من البيان الوافي قال : —

يقول مؤيدو السبرتزم ان الارواح التي يستحضرها الوسطاء تكون في بعض الاحيان مادية فتلمس ويسمع وقع خطاها وهي تمشي وفي احيان اخرى تكون شفّافة لطيفة حتى ان جدران البيوت لا تعيق مرورها فهذه المناقضة وغيرها من الصفات المتباينة التي يسندها دعاة مناجاة الارواح اليها دفعت جمعيات الابحاث النفسية في كل انحاء العالم الى البحث عن تعليل يتمكنون بهِ من تفسير هذا

التناقض تفسيراً معقولاً فقال البعض ان هذه الارواح قوة سرّية لا نعلم حقيقتها وذهب البعض الآخر الى انها مادة غيرية . ولما طال الجدال وعزّ التوفيق بين الفريقين جاء و بالتعليل يجمع بين الاثنين وهو وجود ما يسمونهُ بالاكتوبلازم اي المادة الخارجة من الجسم

فلننظر الى ما يقال عن ماهية هذه المادة ولنزنْ هذه الاقوال بميزان التعقل والتحفظ والتجرّد العلميّ . ان ما يقال عن ماهية الاكتوبلازم كثير ولكن المعلومات المحدودة التي يوثق بها قليلة . فقد اجمع اصحاب مناجاة الارواح على ان الاكتوبلازم مادة حية من اصل نفسيّ تخرج من الوسيط ، وزاد البعض على ذلك بقولهم انهُ من المادة التي تتكون منها الارواح في العالم الثاني وفيها قوة تمكنها من تحريك الموائد والتقرع على الارض وتكوين الوجوه والاعضاء والقيام بمظاهر خارقة العادة . وهنا ينتهي تفاهم لانهُ عند ما يحاول القائلون بالاكتوبلازم ان يذكروا نتائج ابحاثهم بطريقة علمية يجدون ان كل تجاربهم لم تجرِ حسب ما يقتضيهِ الاسلوب العلمي في البحث والتنقيب فلا يلام احد اذا بنى حكمهُ على هذه التجارب وقال ان الاكتوبلازم ليس الاّ وهماً تتصوّرهُ المخيّلة

من اكبر القائلين بالاكتوبلازم الدكتور جيلي Geley والبارون شرنك نتسنغ Schrenck Notzing والدكتور كروفرد فالدكتور جيلي يقول ان هذه المادة تخرج من رأس الوسيط هيئة شرائط وعقد واهداب مزركشة وهي في بعض الاحيان جامدة وفي البعض الآخر ليّنة مطّاطة ولكنها تنقبض دائماً عندما تمسّ شيئاً ماديًّا . ولكن الدكتور جيلي نفسهُ تمكن من عمل قوالب بصب الشمع على ايدٍ وارجل مكونة من الاكتوبلازم ! اما الدكتور كروفرد فقال ان الاكتوبلازم يخرج من القسم الاسفل من جسم وسيطتهِ ويقرع على الارض قرعاً شديداً ويرفع الموائد ويضرب من امامهُ حتى يشعر المضروب كانّ قضيباً من الحديد الصلب ضربهُ . وقال جيلي ان الاكتوبلازم نير وقال في مكان آخر ان وجود النور يدفع جسد الوسيط لامتصاصهِ . اما كروفرد والسر اوڤر كونن دويل فتفقان على ان الاكتوبلازم يزول عندما يتعرّض للنور مع ان جيلي وشرنك نتسنغ يدعيان انهما صورا هُ بالفوتغراف !!

لكنّ التناقض الاعظم ظهر عندما حاول العلماء تحليل الاكتوبلازم فقد صرّح

جيلي انهُ لا يحلّل مطلقاً لانهُ اذا قطعنا قطعةً منهُ اضرّ قطعهُ بجسم الوسيط ضرراً بالغاً بل قد يقتلهُ . اما شرلك نتسنغ فقال ان الاكتوبلازم مركب من خلايا الجسد التي في الفم والحلق والبلعوم. وقال مترجم كتاب جيلي ان التحليل الكيماوي اثبت ان في الاكتوبلازم ماء وقليلاً من الكبريت والزلال وهو مركب من الكربون والكبريت والاكسجين والهيدروجين والنتروجين اما العالم البولوني ليبيد تسنسكي Lebiedzinsky فقال انهُ مركب من الدهن والبروتوبلازم لكن السر ارثر كونن دويل قال ان العلم لا يعرف شيئاً البتة عن الاكتوبلازم واضاف الى قولهِ هذا قولاً آخر وهو انهُ ظهر بالتحليل الكيماوي انهُ مركب من كربونات وفصفات ومادة اخرى لا يعلمها انسان

فكل من يعرف نواميس الطبيعة وقوانين المنطق ويفهم دقة اساليب البحث العلمي لا يقدر ان يفهم من هذه الاقوال شيئاً يقينيًّا عن ماهية هذه المادة التي يزعمون ان الارواح تتكون منها

جرّب ان تتصور مادة تنحلّ عند تعرّضها للنور ولكنها لا تنحلّ ! مادة تحلَّل كيماويًّا ولا تحلّل واذا حُلّلت نجدها مركبة من مواد عديدة معروفة او غير معروفة. وتركيبها هذا يختلف باختلاف المحلّل ! مادة تنقبض عندما تمسّ شيئاً ماديًّا ولكنها تحرّك الموائد وترمي الكراسي ! مادة لا يعرف العلم عنها شيئاً البتة ولكنهُ يحللها ويطلعنا على العناصر المركبة منها

استعمل الدكتور جيلي والبارون شرلك نتسنغ ايثا كوبر وسيطة وكان عليهما ان يبحثا عن وسطاء امناء يعاونونهما على البحث باخلاص وحسن نية وقد اكّد الدكتور جيلي انهُ كان يستحيل على هذه الوسيطة ان تخدعهُ لكنهُ لم يذكر احتياطاً واحداً اتخذهُ لاكتشاف الخداع لو حدث . قد اجرى تجاربهِ في الظلام الحالك . دخلت الوسيطة حجرة الامتحان فاستولت عليها الغيبوبة حالاً وبدأ الاكتوبلازم يخرج منها وتكونت منهُ ايدٍ وارجل ورؤوس عليها شعر امرّ فيهِ الدكتور جيلي اصابعهُ — فامسّاً او متناسياً ان الاكتوبلازم ينقبض عند ما يمس شيئاً ماديًّا

وتبع البارون نتسنغ الخطة التي تبعها جيلي فظهر الاكتوبلازم من ايثا وعمل الاعمال التي عملها لما ظهر لجيلي. ولكنهُ فتش ايثا ذات يوم قبل دخولها الى الحجرة

فكانت النتيجة ان قرّ ضمير الاكتوبلازم جداً . ولكن ظهر بالتقرب منها وجهان نيران وقليل من الزبد على شفتيها فاخذ احد الحاضرين صورة فوتغرافية لذلك المشهد وعندما اظهر الالواح وجد صورتي رجلين ممروفين دهنا بالالوان المضيئة فظهرا كانهما روحان

ودعت جمعية الابحاث النفسية الانكليزية ايضا لتعمل اعمالها امام اعضائها فاجابت دعوتهم ولكنهم فتشوها تفتيشاً دقيقاً وفتشوا الحجرة التي تقيم فيها حتى تأكدوا عدم وجود شيء يساعدها على الخداع . فدخلتها واستولت عليها الغيبوبة ولكنها لم تتمكن من استحضار روح ما فانحت باللوم على هواء لندن!

وهاك شيئاً من سيرة هذه الوسيطة . ولدت في جنوب فرنسا واسمها الاصلي مرثا بيرو فكانت في وطنها وفي الجزائر تعمل كوسيطة حتى ادهشت كل من رآها واستلفتت انظار كبار الباحثين . فعزم اوجين مرسو احد اعضاء جمعية الابحاث النفسية الفرنسوية ان يفحص اعمالها ولكنهُ لم يتخذ الاحتياطات اللازمة لمنع الخداع فوقعت في الشرك لانهُ صوّب اليها اثناء قيامها باعمالها توراً ساطعاً من بطارية كهربائية ففضح امرها ووجد ان الوجوه الروحية لم تكن سوى صورٍ مستعارة وان الاكتوبلازم ليس الاَّ نسيجاً دقيقاً شفافاً وزبداً زلالياً . وما زال حتى اعترفت لهُ اعترافاً كتابياً ان كل اعمالها قائمة على الخداع وتفصيل ذلك كلهِ في سجلات الجمعية التي ينتمي اليها

وقعت هذه الحادثة سنة ١٩١٤ فرجعت مرثا الى فرنسا ذليلة وبعد مدة خرجت من عزلتها تحت اسمها الجديد — ايفا كاري —

هذه هي سيرة الوسيطة التي على اعمالها وامانتها يبني الدكتور جبلي وغيرهُ وادلتهم براهينهم في تأييد المذهب الاكتوبلازمي

وهناك غير ايفا كثيرون من الوسطاء الذين كشف النقاب عن خداعهم فنكتفي بذكر اثنين وهما ايثر نيلسن الدروجي وآدا بيبنت الاميركية . ومن الغريب ان انصار مناجاة الارواح ينحون دائماً باللوم على الارواح اذا كشف خداع احد الوسطاء فيقولون انهُ لا يستعمل الخداع الاَّ اذا ابت الارواح ان تلبي طلبهُ . والظاهر ان هؤلاء العلماء يظلمون قواهم العقلية ويتحطون ببساطة الاطفال حينما يقتربون من البحث في امور كهذه فيعتقدون كلما ما يقال لهم مهما كان محالاً